

أَبِيكَمُ الْكَافِرُ

فِي زَمَنِ الْعُرْبَةِ

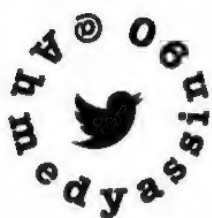


نصوير

أحمد ياسين

الدكتور عماد الدين خليل

دار ابن كثير



ابتهاالات
في زمن الغربة

لتصوير
أحمد ياسين

الطبعة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

جميع الحقوق محفوظة

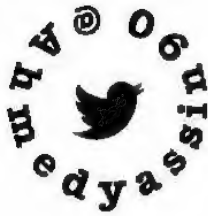
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل
المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر .

لتصوير

أحمد ياسين

ابتهاالات

في زمن الخربة



لصوير
أحمد ياسين

الدكتور

عماد الدين خليل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

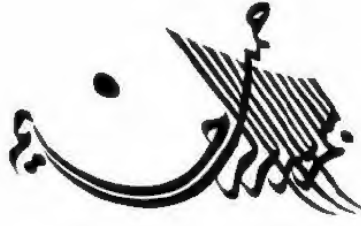
لتصوير
أحمد ياسين
لوينر
@Ahmedyassin90





نُطوِير
أحمد ياسين
نُوِينِر

@Ahmedyassin90



تقديم

١

لم أكن مقتنعاً بالمستوى الفني لـ (جداول الحب واليقين) .. قصائد قادمة من الستينيات .. بعضها من عمق زمني أكثر بعداً .. كنت يومها مبتدئاً، وكان طموحي أكبر بكثير من قدراتي .. والخندق ظل قائماً، غير معقود فوقه بجسر ..

أحياناً كنت أعبر .. حالات استثنائية - كانت - لا يقاس عليها .. بينما - في معظم الأحيان - كانت الهوة العميقة تضيع صوتي .. فأشعر بحزن عميق ..

هذه واحدة من أقدار الأدباء والمفكرين .. وهم يظنون - حتى آخر لحظة من أعمارهم المنصرمة - غير قادرين على التحقق بالوفاء المرتجى بين القدرة والطموح .. على أن يجعلوا الحلم حقيقة واقعة ..

توفيق الحكيم - الذي قال هذا أكثر من مرة - لم يكن أولهم ولا آخرهم .. يقيناً ..

يوماً .. قال لي صديق أديب: إن عليّ أن أكف عن قول الشعر، وأن أنصرف - إذا أردت أن أكون أكثر جدية - للكتابة في الفكر والمنهج والنقد والتاريخ .. كان يمكن أن تكون نصيحته فرصة للخروج من دائرة العذاب، وأنا لازلت أذكر ساعات الاحتراق الصعبة التي كنت أجتاها عندما كنت أكتب هذه القصيدة أو تلك .. بينما في المجالات الأخرى لم أكن أعاني عشر معشار هذا الذي كنت أعانيه في دائرة الشعر .. لكنه الهاجس الذي يضغط على الجملة العصبية للإنسان، ويرغمه إرغاماً على محاولة الدخول إلى المملكة التي لا تفتح أبوابها - يسر - للطارقين .

نصيحة صديقي الأديب كان يمكن - أيضاً - أن تكون تحدياً واستفزازاً .. وقد اخترت الثانية، وقررت أن أحاول كرة أخرى .. غير متكلف قول الشعر هذه المرة .. فلم أكن أنا الذي أستدعيه، ولكنني أتركه لكي يستدعيني .. وحينذاك يمكن أن يصير الإبداع الشعري دفقاً عذباً، أو عذاباً متدفقاً لا يتعسر فيه المخاض، وتتولد في معاناته الأبيات أكثر يسراً، وأقدر على حمل الخطاب والتحقيق بمطالبه الفنية ..

استهوتني الحالة الجديدة هذه، وهي بالتأكيد أكثر انسجاماً وتوافقاً مع طبيعة العمل الشعري، فكنت أنتظر السنة والسنتين لأكتب قصيدة أو اثنتين ..

لكنني في شتاء عام ١٩٩١م وجدت النداء يزداد إلحاحاً، وخفقان الشعر ينبض بعنف في القلب والدم والوجدان.. فاستجبت للنداء، متذكراً صديقي ذاك.. وكتبت العديد من القصائد.. واستطعت - أيضاً - أن أنفذ ما كنت أحلم به: الرباعيات التي تتدفق بعفوية لكي تجعل الشعر قبالة كل شيء مؤثر أو جميل في هذا الوجود.. حالة من التوافق الكوني العذب الذي أراد هذا الدين أن يضع الإنسان فيه..

معظم القصائد الأخرى كانت إبحاراً في الاتجاه نفسه.. تداعيات روحية، وخطاب وجداني للمؤمن المتغرب في هذا العالم، والذي يكافح من أجل الخلاص.. مؤملاً اليوم الذي يتناظر فيه كل شيء ويلتقي تحت خيمة المحبة في الله.. حيث يصير كل موجود في هذا العالم متوجهاً إليه متقيئاً ظله الظليل..

قصائد قليلة تعاملت مع هذه المفردة أو تلك، من مفردات الحدث العام أو الخبرة الذاتية، لكنها هي الأخرى آلت في نهاية الأمر إلى الساحة نفسها التي أريد للديوان كله أن يشكل بكلماتها..

ليس ثمة في المنظور الإسلامي للإبداع تجزؤ أو انفصال.. هنا حيث تزول الفواصل وتنهار الجدران، وتصير كل خبرة أو تجربة رافداً يصب في النهر الواحد الآيل إلى الله!

ربما تكون هذه واحدة من أكثر الملامح أصالة في الشعر الإسلامي.. فإذا كان ديواني المتواضع هذا قد عبر عنها بقدراته المحدودة، ونفذ قدراً من المقاربة لمطالبها، فإنه يكون قد حقق مهمته التي تشكل من أجلها.. وهذا حسبي..

كثيرون من أصدقائي المعنيين بالكتابة لا يرتاحون للمفكر أو المؤرخ أو الناقد وهو يكتب شعراً.. يرون في ذلك نوعاً من الامتهان لجدية الفكر.. أو في أحسن الأحوال عبثاً، أو تضييعاً للوقت لا يليق بالمفكر الجاد أن ينساق إليه.

ينسون أن الشعر ليس خياراً، ولكنه قدر محتوم في عنق هذا الإنسان أو ذاك..

وإن لم يستجب لندائه فسيظل يعاني في داخله من النار التي تشتعل هناك ولا تجد فرصتها للخروج.. يومها لن يكون بمقدور أشد المفكرين جدية أن يتحقق بالسوية التي تعينه على أن يقول ما عنده في أي ساحة من ساحات الكلمة.. لأنه هناك، في طبقة ما من تكوينه، لا تزال تشتعل النار..

ينسون أن الكثيرين من المفكرين والمؤرخين والنقاد كتبوا شعراً.. يوم كانت الكلمة تتحرك بحرية في أفق معرفي وإبداعي مفتوح على مداه.. وقبل أن تجيء تقاليد التخصص الدقيق، وافتراضات الأكاديمية فتضييق الخناق..

وبغض النظر عن الرؤية أو التوجه الفكري، فإن معظم الرواد الكبار قالوا شعراً: العقاد.. طه حسين.. توفيق الحكيم.. سيد قطب.. الرافعي.. مصطفى السباعي.. وغيرهم كثيرون..

آخرون كان صوت الشعر ينبض في كلماتهم، رغم أنهم ما مارسوه وفق مطالبه الفنية المتعارف عليها: النورسي.. الندوي.. الغزالي.. مالك بن نبي.. وغيرهم - أيضاً - كثيرون.. ولكنهم - مع الشعر وقبلة وبعده - كانوا مفكرين ومؤرخين ونقاداً..

وفضلاً عن هذا كله، فإن هؤلاء «المحتجين» ينسون أن الخطاب الشعري، في حالات عديدة، أكثر قدرة من أي صيغة أخرى على حمل «الرؤية» إلى العالم، والتعبير عنها، والتبشير بها، بل إنه - أحياناً - قد يكون الخطاب الوحيد.

ونتذكر كيف أن الرسول المعلم - عليه أفضل الصلاة والسلام - طالما وظف الشعر في الصراع ضد الخصوم، وكيف أنه أعرب عن إعجابه وتأثره بهذه القصيدة أو تلك، بل إنه خلع - يوماً - بردته الشريفة وأعطاهما الشاعر كعب بن زهير تثنياً للاميته المعروفة التي تبدأ بالتوجع لفراق سعاد.. أولم يقل ﷺ قوله المعروفة: «إن من البيان لسحراً، ومن الشعر لحكمة»؟.. فكيف يصير الشعر الذي ينبجس كالدفق العذب في ساحات الفكر، أو يشتعل كآلق النار في عالم البحث الرصين، عبثاً وترفاً وتضييعاً للوقت؟

الآن، وقطار العمر يمضي مسرعاً صوب المحطات الأخيرة، فإن الفاصل يكاد يتلاشى تماماً بين الأشياء والخبرات والظواهر والموجودات.. وبين جوهرها ومغزاها..

ما من لحظات كهذه تتكشف فيها المراثيات، وتتعري التجربة، كهذه اللحظات.. وكلنا يتذكر، والقطار يمضي به متسارعاً إلى هدفه، كيف تفقد رؤيته القدرة على التركيز في الأبعاد المنظورة للمراثيات.. كيف تلتهم هذه كلها وتفقد، شيئاً فشيئاً، خصائصها الذاتية لكي ما تلبث أن تصير هي نفسها جزءاً من المنظور الشامل الذي يعبر فيه الإنسان حافات الحس إلى الوجدان، والبصر إلى البصيرة، والتعامل المباشر مع الأشياء إلى الإيغال بعيداً، بحثاً عن الوحدة التي تلمها جميعاً لكي تجعل منها منظوراً واحداً..

هنا يصير الشعر الأداة الوحيدة القادرة على التعامل مع الظاهرة، تماماً كما يصير الإيمان، الكشف الوحيد القادر على الإضاءة والتفسير..

وفي الحالين يجد الإنسان نفسه قبالة اللحظة المشحونة بالوعد والعطاء.. وإزاء الدافع الملح، المترع باللهفة والشوق، للإفصاح والتعبير..

فمن يقدر، وهو يطل من نافذة قطار يرحل بعيداً، عبر، وقبالة المغزى الكوني للوجود البشري في هذا العالم، إلا يكتب شعراً.. من؟

عماد الدين خليل

الموصل

في: ٨/١٢/١٤١٧ هـ / ١٥/٤/١٩٩٧ م

ابتهالات في زمن الغربة

سكّرت بلا خمرة أو شرابٍ
 فحررت من شقوتي واضطرابي
 رجعت إلى الله أهتز شوقاً
 ويدفعني في الرجوع عذابي
 تقاذفني الوجد في كل أفق
 وأومض في الدرب ضوء شهابٍ
 وضاع الزمان فلا من سنين
 وأمسى المكان ولا من حجابٍ
 ومد الفضاء وبان الطريق
 وأشرع في الملتقى كل بابٍ



بغيرك نعبرها ظلمات
 ونجتاز آفاقها.. بارتيابٍ
 بغيرك تغدو الحياة ضياعاً
 وسجنأً من الهم والاكتئابِ

بغيرك يغدو الوجود قفاراً
 وركضاً على الشوك محض سرابٍ
 بغيرك تغتال أحلامنا
 ويحتاجنا عاصف من ترابٍ
 بغيرك يمسي الطريق طويلاً
 ويعظم في الدرب كل مصابٍ



أعود إليك طريقتي طويل
 وقد بلت في الرحيل ثيابي
 أعود إليك وحزني عميق
 وقد ضاع عبر المسير شبابي
 أعود وفي جمرات الضلوع
 كتاب من الشوق أي كتاب!
 أعود وقد أشعلت في الحنايا
 تباريح من ألم مستطابٍ
 أعود فهل أرتجيه إياباً؟
 وهل يتقبل مني احتسابي؟



تباركت يا ملهم الكائنات
 طريقاً إلى الخير إثر غيابٍ

تباركت إذ نقتفيه صراطاً
 وإذا نسلك الدرب بعد ذهاب
 تباركت حيث يضع المصير
 فتشعل أضواءه لإياب
 تباركت ما كدح المرسلون
 وما شربوا كل مر وصاب
 تباركت إذ فجروه عطاء
 وإذا قدموه بغير حساب!



لك الحمد في كل طلعة فجر
 وفي الليل إذ يرتجى لمآب
 لك الحمد في كل رفة غصن
 وفي الريح إذ حملت بسحاب
 لك الحمد ما أدلج المبحرون
 وما انسربت سفن في عباب
 لك الحمد ما اخضر هذا الوجود
 وما ازدهت الأرض بسعد يباب
 لك الحمد في البدء والمنتهى
 علي هيئن في السرى أو صعب



تقدّست يا أوحداً في علاه

ويا مالك الملك يوم الحسابِ

تقدست في خفقان القلوب

امتناناً وفي لفتات الرقابِ

تقدست والوجد يجتاحنا

فيمنحننا من رحيق مذابِ

تقدّست إذ نبتغيه ثواباً

فتعطي محبّيك كل ثوابِ

تقدست إذ نتقيه عقاباً

فيمضي الحساب ولا من عقابِ



يسبّح باسمك هذا الوجود

فتبحر أجرامه بانسيابِ

تسبح باسمك ذراته

فيهتز وفق العيون العذابِ

تسبح والليل ساج عميق

وفي الصبح عند احتدام الرغابِ

تسبح في النهر في المنحنى

تسبح في القفر في كل غابِ

تسبح في الدرب لما يضيق
وفي الأفق عند انفساح الرحابِ



أجىء وقد ضيقت خطوات
وسدّ طريق الهدى لمتابِ
أجىء وقد أظلم المشرقان
وحط على الأفق دفق ضبابِ

أجىء وقد هدّني الزمهرير
وأرهقني في المسار اغترابي
أجىء فألقتاك في كل حين
وأمحو بعفوك كل عتابِ
أجىء فيزهر فيك الوجود
وتزهو العوالم بعد خرابِ



النار

١

النار!

النار.. النار.. النار.. النار

وعد ينصب على عيني فتشب النار

قدمي في البحر وفي الآفاق يضيء فنار

ما بين اللحظة والأخرى سيجيء قرار

عمري يمضي.. والوعد نهار

لكن الليل يلزمني ويدور حصار

ويشدّ القيد على قدمي ويعز فرار

الأفق أمامي ممتد فحذار حذار

ويضيع الأصحاب على دربي.. ويعز الجار

٢

النار

النار.. النار.. النار.. النار

شوق ينصب على قلبي فتشب النار
 وأود لو أني ما فنت أيامي
 ما ضاع الدار
 ما شيبني في البحث عن المجهول دوار
 وأود لو أني ما زلت صغيراً بين صغار
 وصفاء الرؤية يمنحني
 عشقاً للنيا . . يهديني حفات محار
 وودت لو أني ما زلت أغار
 ولو أني ما اجتزت البحر . . عبرت قفار
 ما ضيعني عبر التجوال المر غبار
 حلم الأيام يراودني فتشب النار
 تمحو من أيامي الذكرى
 فأصير نثار . .

النار!

النار . . النار . . النار . . النار

وجد يتدفق في روحي فتشب النار

أجتاز بها أطراف الكون.. أخوض بحار
 أمشي حراً وعلى رأسي إكليل الغار
 حبي إيماني.. والشوق دثار
 أمضي لا يوقفني وهم أو يغريني شعار
 أتجرد للعشق الكوني.. أصير منار
 أمضي.. وحيال تخوم الأرض أشق مسار
 وتناديني عند الأفق نجوم فيكون حوار
 أمضي بحساب الزمن الضوئي لكل مدار
 أتلاشى في الطرف الشرقي الأقصى
 لكنني أرجع ثانية فتشب النار

٤

النار!

النار.. النار.. النار.. النار
 شيء ينصب على جسدي فتشب النار
 أمضي لكن يمنعني في الدرب جدار
 وأحس بأنني لم أعط خيار
 وبأنني لا أملك ما يدفعني لعبور النار

وأظل أنادي من ينقذني .. فيزيد عثارُ
 وجع الإحساس يهيج قليلاً
 فيصير سعارُ
 يسعى عبر الدورات الصغرى والكبرى فتشب النارُ
 فأهبَّ إليها كي أطفئها لكني أحارُ
 صوت من قعر الإحساس يناديني ألا أحتارُ
 أن أمضي .. أمضي .. أمضي .. أقطفها ثمارُ
 لكن القلب .. الوجد .. الروح .. تعاتبني
 ويضج أوارُ
 وأنا مشدود للأصوات أعاني النارُ!

٥

النارُ!
 النار .. النار .. النار .. النارُ
 ضوء يتكهرب في عقلي فتشب النارُ
 إيمان من نوع عالٍ
 إيمان من فوق الأرض ينث شرارُ
 إيمان يركض خلف الخوف .. وراء الآلام القصوى

يجتاز الأسوار..

إيمان يرفع سيف الحق بوجه جموع القهر الآتي كالإعصار

إيمان يجمع أشتاتي ويصون دمار

إيمان يمنحني الأمن الذاتي وينقذني من كل دمار

عقلي، روعي، جسدي، إحساسي

تجتاز الأسر تعاف الغربة والأوضار

تمضي كي تعمر هذي الدنيا.. تلقيها بذار

كي تمنح موزاً.. تفاحاً.. كمثرى..

تهب الأشجار

وعلى برد الوعد الآتي بالأمطار

أحس سلاماً علوياً.. ويقر قرار

وتنث على النار الأمطار

فتكف النار!



مشاهد من سفر الرؤيا

١

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحار
 عاصفة تهب من مكان الضلال
 عنيفة كموجة عاتية بحرية
 مخيفة كنقمة كونية
 تجتاز ألف سنة ضوئية
 وقبل أن تمطرنا بالنار والأحجار
 وقبل أن تصفعنا بالويل والثبور والدمار
 لن يهدأ التدويم والترحال
 أو نبلغ القراز..

٢

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحار
 دوامة تهب كالإعصار

مترعة بالنار
 أتت على الديار
 فطوحت بالزهر والثمر
 وأصبحت عيوننا من كثرة الغبار
 كأنها قد نسيت إطباقه الأجفان
 اعتادت السهر
 وغاب في منظورها البؤبؤ والإنسان

٣

وقمت كي ألاحق الظلام والمجهول
 أمسك بالقمر
 وبدأت ملحمة الصعود والنزول
 اجتزت ألف غيمة
 قطعتها ألفاً من الأميال
 سألت ألف نجمة
 ألحفت في السؤال
 وعندما وجدته . . لم يكن القمر

٤

فإننا والحق لا يقال!
نطلبها محال
وإننا، والحق لا يقال
نعيشها مجنوناً
كالحلم، كاللاوعي، حيث تختفي معالم الأشياء
 ويفقد العالم أرضيته،
تصير كل كتلة مصنوعة من ماء
فإننا، والحق لا يقال،
نعيشها معجونةً
بالرمز والتجريد السريال
مبنية بالرمل في مجاهل الصحراء
نريدها فوضى تلف الكون والوجود والأحياء
نريدها أرضية بلا سماء،
وعبثاً تضيع في لجّته ملامح الأفعال والأشكال والأسماء!

٥

من يدّعي القدرة للصعود؟
من يستطع أن يواكب السحاب كي يمنحنا المطر؟

يجيء بالقمر؟

أقدامنا قد غرزت في لجة الرمال

ضيعنا الدوار في مجاهل الصحراء كاليهود

تاهت على أبصارنا سيناء

وقتل السراب دفقة الرجاء

فلم يعد ثمة من آمال

وغابت الحدود.. غابت الحدود..

٦

وكان دين الله قد حررنا

لكننا - مثلهم - قامت على صراطنا السدود

مثلهم وضعنا في أعناقنا القيود

فلا مضينا صوب أرض التين والزيتون

ولا استطعنا عودة للوطن المغتصب الحزين..

٧

وكان فضل الله قد أمطرنا

بالمنّ والسلوى

لكننا - مثلهم - تقنا إلى قثائها وفومها الملعون!
فكانت البلوى!

٨

وكان صوت الله قد ألهمنا
أن نفتح العالم نلوي أذرع الطاغوث
نحرر الإنسان حيث استعبد الإنسان
لكننا - مثلهم - سرنا على تردد، لم نتبع طالوث
وكان ما قد كان!

٩

يا أيها الإنسان
والله لو أجل قد خط في الألواح
لم تدر ما الزمان، ما المكان
أو تعرف المساء والصباح
لكنها رحمته وسعت الأمداء والأزمان
فلج في العصيان

١٠

من أجل هذا دوّمتُ

الفتنة العمياء

من أجل هذا زلزلتُ

الأرض والسماء

من أجل هذا أصبحتُ

أمتنا كقرية مثقوبة

مملوءةٍ بالماء

كقصعةٍ مفتوحةٍ

أفسدها الهواء

من أجل هذا وُجهتُ

دعوتنا، ليأكل الأعداءُ

١١

طردنا الإسبان من جناتنا

وكان قد تبعثر الإسبانُ

هاجمنا الصليب في ديارنا

من بعد ما توارت الصلبانُ

شردنا اليهود في ساحاتنا
 إذ كاد أن يطويهم النسيان!
 أمسكنا الشيطان من لذاتنا
 وراح يلهو بيننا الشيطان!

١٢

من أجل هذا قدمت جحافل المغول والتاتار
 واحتزت الرؤوس حتى أرقق الجلاذ
 من أجل هذا صُيرت دماؤنا أنهار
 وذبح الخليفة القابع في بغداد
 كانت لنا حضارة مترعة عطاء
 كانت لنا أمجاد!
 فأحرقت كتبنا وذرت الأحرف في الهواء
 وجعلوا بنياننا رماذ!

١٣

يا أيها الإنسان
 ضائعة خرائط الدنيا، وفان حلم التكديس في البنيان

شقية حضارة لم تدر أين الله في رحيلها الحيرانُ
 تعيسة قيادة أسلمت المصير للشيطانُ
 هل ثم غير اليأس، والضياع، والظلام؟
 هل ثم غير التيه في أروقة الطاغوت والطغيان؟
 هل ثم غير الخزي، والهوان، والآلام؟

١٤

يا أيها الإنسانُ
 أريد منذ البدء أن تكون!
 سُخرت الأرض، والأنهار، والبحارُ
 أرسيت الجبال، نثت ضوءها النجوم والأقمارُ
 سُيرت الجوّاري كالأعلامُ
 فُجرت العيونُ
 واخضرّت الآكامُ
 من أجل ماذا أيها الإنسان؟!

١٥

رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحارُ
 أنا مشيناها على مشارف العتمة والزوالِ

أنا عبرناها وقد ناءت بنا الأوزارُ
أنا أردناها وقد قُصّر في الآجالُ
ضيقة طرائق العبورُ
مظلمة مسارب الممر بين الهوة والجبالُ
مقطوعة - على المدى - الجسورُ
وأنا، بدون ما عقيدة تكهرب العقول والوجدان والأوصالُ
بدون ما إضاءة من نورُ
بدون أن ينصب في صحرائنا الشلالُ
فإنه محالُ
أن نعبر الظلمة والأحزان وسط العالم المقهورُ
فإنه محالٌ..



إذا غاب هديك

إذا غاب هديك أين نسيرُ؟
وكيف يكون السرى والمصيرُ؟
على كل مفترق ظلّمة
وفي كل درب أذى وشُرورُ
ومنا إذا ألم سامنا
وفينا إذا ما ازدهانا الغرورُ
تحيط بأفاننا غمرات
ويمحو الضباب بها ما يدورُ
وتكذب في البدء والمنتهى
ويبقى العذاب وليس مجيرُ



إذا غاب هديك حل الشقاء
وضاع مع الحسرات السرورُ
وتاه الطريق فما من صراط
ولكنها سبل تستديرُ

تعود بنا إثر كل رحيل
 فما ثم في الظلمات عبورُ
 نعانيها من وجع وعذاب
 ويصفعنا عاصف وحرورُ
 ونبقى نصارع مأساتنا
 ويبقى الهوى خلّب وقصيرُ



إذا غاب هديك أتى اتجاهنا
 تناوشنا البرد والزمهريرُ
 نجاوز صحراءها بارتجاع
 ويلفحنا حرها والسعيرُ
 يلاحقنا الليل في كل خطو
 فنقطعها غمرات تمورُ
 نؤمل بعد الضياع وصولاً
 ولكنها أمنيات تبورُ!

إذا غبت عن خفقان الفؤاد
 يضل على الدرب وهو حسيرُ



إذا غاب هديك يمسي الوجود
 خراباً ويرحل عنه الحبورُ

وتفقد مغزاها أحلامنا
فتذوي وكل المعاني قشورُ
تصير إلى عبث خطوات
ونمضي سراعاً إلى ما تصيرُ
ويهوى على الدرب كل بناء
وتلحقه مدن وقصورُ
وتمضي الحياة وقد ضيقت
لتغتالها في الطريق قبورُ



إذا غاب هديك كيف الرحيل
وكيف إلى الأمنيات نطيرُ؟
وهل نتفياً برد الظلال
وهل يرتجى قمر فينيرُ؟
وهل تتفتح عند الصباح
بأكمامها وتفوح زهورُ؟
وهل تبعث الشمس أضواءها
فيمتصها ألق وعبيرُ؟
وهل ترتقيها النسور سماءً
وترحل في الأمسيات الطيورُ؟

إذا غاب هديك كيف الخلاص
 ومن للهدى يرتجى فيثور؟
 ينام الطواغيت ملء الجفون
 ويسهر عبد لهم وأجير
 ويغدو الهوى شرعة للأنام
 فيركب متن الهوى ويجور
 فما ثم من يرتجى للخروج
 وما ثم للمؤمنين نصير
 إذا استحكمت في العباد الظنون
 فليس سوى هديه ما يجير!



مناجاة

تجيء إذا انعدم المورد
وتعطي فما أخلف الموعد
تظل إلى جانب الضائعين
ونار الهدى في الدجى توقد
يسد الطواغيت أبوابهم
وبابك يبقى فلا يوصد!
وتمطر حين يحق الجفاف
وتحيي الموات لكي يحصدوا
تباركت، جل السخاء الكبير
وجل عطاء فما ينفد!



لك الحمد حيث يدور الزمان
وما ثم غيرك من يحمّد
منحت الصراط لكل الحياري
فساروا على ضوئه واهتدوا

مشوا يزرعون صحارى الوجود
وشيدوا في الأرض ما شيدوا
مضوا وكأن اخضرار الحياة
نداء من الله كي يعبدوا
وتعلو المعالم في كل صقع
وتعنو الجباه له تسجد



لك الحمد ما ادلج السائرون
وما قارب الناس أو سددوا
وما انبجست في الصحاري العيون
وما خفت نجمة تسهد
وما أبرق الأفق في الظلمات
وراح على مطر يرعد!!
وما انساب في الأمسيات الهلال
وفياً على العهد لا يشرد
لك الحمد ما شيع الراحلون



تسبح في سرها الكائنات
وينطقها خالق أوحد

ويسمع في ساح هذا الوجود
 نداء الخلائق إذ تنشدُ
 وكلّ يداري الجوى في المسار
 فيزداد ناراً وما يبردُ
 وتعلو مصعدة وجدها
 وتعطش إذ قرب الموردُ
 وتطوى المسافات سيان فيها
 أخو كدح أم فتى سيّدُ



تباركت يا مبدع الملكوت
 وجل عطاؤك إذ يرفدُ
 تنادي على الكون وهو دخان
 فيأتيك طوعاً كما يعهدُ
 ويصبح والأرض رهن يديك
 فتمضي المقادير أو ترصدُ
 وفي لحظة من زمان السماء
 تسوي عوالمها تمهد
 تباركت إذ صغت هذا الوجود
 لكي يعمر الناس أو يسعدوا



حرام علينا وقد طوقت
 بهذا السخاء الكبير يدُ
 حرام علينا وفي كل يوم
 يظللنا قدر أيّدا!
 حرام على العمر أنى اتجهنا
 سواء مضى أمس جاء الغدُ
 وجدناه يعطي ولا من حدود
 ويهدي الحيارى لكي يرشدوا
 أئمم إذا أذعنت في الوجود
 جباه فهل غيره تعبدا؟!



الضوء في الظلمة إلى حماس..

سامتنا واغتسلت بنا الآثامُ
 وتقطّعت في دورنا الأرحامُ
 صرنا على صدأ يكاد حديدنا
 يبلى، وتذرو ريحه الأعوامُ
 في كل منعطف لنا أحوثة
 وبكل حين نمتطى ونضامُ
 المرتجى فينا تطيش بلبه
 فتن تضيع بلجّها الأحلامُ
 والمرتجى فينا تدور برأسه
 ظلم فيطفئ نوره وينامُ
 ونكاد من يَبَس ترق عظامنا
 فنسير لاقلب ولا أجسامُ
 تتناوش الرمم الذئاب فكلما
 نفدت تطوّع سيّد مطعامُ

أُمم تداعى والموائد جمّة
وعلى الموائد قصعة وطعامُ
خيراتنا نهب لكل شهية
وبسوحنا تتصارع الأقوامُ
كلّ يحاول أن يفى لراية
ونضيع لا أرض ولا أعلامُ!



لم تبق في عرض الوجود نقيصة
إلا أتيناها وشُدّ لجامُ!
وتكاد من زمن تغور فعالنا
فتصير لا ألف لها أو لامُ
فإذا تباهى الآخرون بفعلهم
أضحى لنا في الخافقين كلامُ
وإذا تحقق غيرنا بحضوره
غبناً وخبأ رأسه النّعامُ
أمسينا لا هدف يحركنا ولا
تهتز في أرواحنا الأحلامُ!



حتى شهدناها بليل ضياعنا
فكأنها الحادي وعز مرامُ

ناران من غضب توقّد جمرها
وسعى بها الإيمان والإلهام
حمم تلظى في شرايين الدجى
فأنار من ألق وشق ظلام
ناران في القدس الحزين تفجرت
فأضاء في نابلس - ثم - ضرام
فاخلع نعالك أيها الساري فقد
جل المقام ومَحَض الإسلام



آتون من عصر الرسالة طالما
عزف الرصاص لهم وسلّ حسام
القاطعون الدرب في غبش الدجى
وعلى المفاوز عتمة وقتام
آتون والغضب العتي يقودهم
ويثور من عصف فليس يرام
فلو أن ما في الطور محض حجارة
لتطايرت حمماً وصب ركام
ولا طبقت رعد السماء وزلزلت
من فوق سيناء لها الأقدام!



يا أيها الماضون صوب خلاصهم
 نفت المبادئ ما بنى الإجرامُ
 المنكرون على الدعي سلامه
 كذب دعاواه فليس سلامُ
 في كل يوم فتنة دموية
 ولكل شبر لوعة وغرامُ!
 هذا أوان الفتح فانتظري فقد
 شد الأعنة يا حطين قسّامُ
 هذا أوان الشد فاشتعلي فقد
 حم القضاء وسطرت أقلامُ



بطاقة
في عيد ميلاد

نداؤك يارب لم يسمعوهُ
وإنجيلهم في الهوى ضيعوهُ
ويارب أقسم أن المسيح
بليلة ميلاده روعوهُ
وأن العفاف الذي جاء فيه
يدنسّه عبث شرّعوهُ
وأن الرداء، وجل الرداء
عن الجسد العف قد نزعوهُ
وأن الذين أرادوا الخلاص
ببحر خطيئاتهم أوقعوهُ!



نداؤك منذ زمان بعيد
على مذبح الشرك قدّ ودعوهُ

تمارس باسم المسيح البلايا
ولم يعرفوا أنهم أوجعوه!
وفي كل يوم تزيد الخطايا
وفي ظنهم أنهم رفعوه!
وتغدو تقاليد ميلاده
طريقاً إلى حماة قطعوه
ويطغى على ألق الذكريات
دخان المعاصي وما فرّعوه



نداؤك في صخب الأمسيات
يغيب ويبقى لهم ما ادّعوه
تجول الشياطين في حفلهم
ويمرح إبليس إذ أطمعوه
وتقرع نخب اليسوع الكؤوس
ويزحمها ميسر أقرعوه!
يدنس من إثمهم كل ركن
ويحرق في الغي ما جمعوه
وتبقى تدق نواقيسها
مؤملة حصد ما زرعوه!



نداؤك، والقوم إذ أدلجوا
 ببحر الذنوب وما صنعوه
 تغطي عليه الأكاذيب حتى
 يغيب ليظهر ما وضعوه
 همو حرفوا كلمات المسيح
 وهم من صنوف الأذى جرّعوه
 همو حمّلوه صليب الخطايا
 وحادوا عن الدرب إذ خدعوه
 همو زعموه، وحاشاك، رباً
 وظنوا بأنهمو تبعوه!



نداؤك، جل النداء العميق
 ولكنهم - أسفاً - لم يعوه!
 بعثت نبيك كي يخرجوا
 إلى النور لكنهم منعوه
 وسار بهم في طريق الخلاص
 ونادى فصموا ولم يسمعوه
 أراد لهم سعة في المسير
 فسدوا الطريق وما أشرعوه

فرحماك يا أيها الناصري
وأكرم بدينك إذ شيعوه



شيء عن الصراع

١

سئمتك يا أرض ملت خطايا
 طريقك والقيد يشتاق أسري
 سئمتك، لولا ضلال القنوط
 ونور من الله في الروح يجري
 ولولا مرور الزمان الرتيب
 يحد من الوهم المستقر
 إذا لعشقت الفناء سريعاً
 يجيء، ويفتح كوة قبري!
 ولكنه قدر أن نعاني
 لنمتاز بين تراب وتبر!

٢

أرى الشر يزحف خلف الجبال
 وتحت الروابي في المنحدر

ويصبغ بالشؤم روح الحياة
 فيهرب بين يديه القمر!
 وثمة من يبتغيها مأس
 كأن القلوب غدت من حجر
 وإن من الحجر المستبد
 لما يتفجر منه النهر
 ولكنها حكمة أن يرق
 جفاء الصخور فهل نذكر؟

٣

إذا ما أحس القوي مراساً
 أعيد الضعيف من القهقري
 تزول خرائط هذا الوجود
 وتمحى شعوب، وتفننى قري
 أتلك إذا سنة في الحياة
 أم الناس تمشي وليست ترى؟
 فيا قوم عزتكم في السلاح
 فشدوا العزائم، غلوا الكرى
 وليس الضعيف يمني وجوداً
 ولكن من يحمل الخنجرا!!

٤

بمسرح هذه الحياة صراع
 على السلم أو في ظلال البنود
 كأن الحياة جحيم رهيب
 ونحن المساكين محض وقود!
 وما هو بالغشم يجري علينا
 ولكنه من صنيع العبيد!
 وليس السلام الذي نبتغيه
 سكوناً، ولا حجة لقعود
 ولكن جهاد إلى أن يحق
 هدى الله في جنبات الوجود

٥

ولولا تدافع هذه الأنعام
 لحط على الأرض ليل ثقیل
 تظل وما انتفضت من عثار
 وتبقى وما زحزح المستحيل
 ويمضي الطواغيت يلوونها
 ويبغونها عوجاً فتميلُ

وتذبح باسم السلام الضحايا
ويمسي الهوى سيداً فيصوّل
وما ثم غير الكفاح طريق
فإن أسنت فيحق رحيل!



بطاقة في ذكرى المولد

أيّ دين علا وأي اتقاد
 شع في الكون من سنا الميلاد؟
 مشرقاً، قلبه الكبير نبّي
 والكتاب المحفوظ في الآباد
 هز أسطورة الضلال بدنيا
 كان فيها الهدى على ميعاد
 فغدا العمر ملعباً لجهاد
 وغدا الموت أروع الأعياد
 وغدا المؤمنون صرخة حق
 في سبيل الإنسان في الأماد
 كان يشقى ويستذل لبطش
 من طغاة الهوى والاستبداد
 كان يشقى وكان يرسف في القيـ
 د على كل سقطة أو رشاد

فإذا العدل كالسراب خيالاً

وإذا البغي في المشارق عادي

وإذا الحق صار محض أمان

استطال الطاغوت في كل نادٍ

ويجيء الإسلام ثورة إنسا

ن على القهر والخنا والاستعبادِ



فتلك مصارعهم

إلى الشهيد ناظم الطبقجلي وإخوانه الذين أعدموا عام ١٩٥٩ م.
 صببت عليهم جام الوعيد
 فته يا (زعيم) فأنت الوحيد!
 وصرفي (العراق) إلهاً كبيراً
 كما صار من قبل (نوري السعيد)
 وأنزل سياطك ما الشعب إلا
 قطيع يسوقه راع شديد
 وما هو إلا ضحايا إله
 ستذبح للرب في يوم عيد
 وعيدك أنت مجازر شعبي
 فهات الخمور ونادِ بعود
 على رنة الحزن تحيي الليالي
 وآهات ثكلى تكون الوعود!
 وتشرب والصحب ملء الكؤوس
 خموراً، ويشرب شعبي الصديد



أفي كل يوم يروّع قومي
وتحفر عبر الطريق اللحد؟
وتنصب في الدرب أعوادهم
وتغرس نارهم في الخدود؟
أفي كل يوم يشيع شعبي
شهيداً وبكي يتيم جديذ؟
وتصبغ أيامنا بالدماء
وبالحزن في غمغات القصيد؟



إلى الله سوف يعود الشهيد
وهذا جزاء الذي لا يحيد
يقول الحقيقة رغم الرصاص
يوّزّ بغدر ويُنصب عود
فقل (للزعيم) بأن الضحايا
ستمضي إلى الخلد كي لا يعود
فو الله لن يستمر الطغاة
على كيدهم ينكثون العهد
وكيف؟ وإسلامنا ثورة
على الظلم هدامة للقيود؟

وكيف وقرآننا في يد
ويرعد في الأخرى صوت الحديد؟



تعلمنا سنة الغابرين
وتحكي نواميس هذا الوجود
بأن الطواغيت آجالهم
على غير ما تشتهي وتريد
فتلك مصارعهم في الطريق
وهذي القرى قائم وحصيد!





نُصوِير
أحمد ياسين
نُوِيَر

@Ahmedyassin90

المدينة والحلم

إلى الأخ الدكتور: عبد القدوس أبو صالح.

مديحك إن شئت أو قل هجاء

بورده عنك يصير سواء

حروفك تجري على أي وضع

فيغدو قصيدك ناراً وماء!

وأنت المحب الذي تستحي

ل ملاماته رقةً وحياء

وأنت المعلم كيف تكون الـ

محبة، كيف نرى ثلة أصفاء

وكيف يصير الفراق حضوراً

وكيف يكون الوفاء وفاء!



أبا صالح، والزمان الكئيب

يقلّب شداً بنا وارتخاء

ونشعر حيناً بأن يداً

تريد لتحجب عنا السماء

ونشعر أننا نضيع وأننا

نعاني من الاختناق بلاء!

وما ثم إلا وميض (الأديب)

يجيء مع المهلكات وجاء

يحررنا من هموم المخاو

ف، يمنحنا برؤاه الضياء



أبا صالح والليالي حبالى

وقد طليت خدعةً ورياء

وما ثم خلف الرداء المزيّ

ف غير الهلاك أذى وابتلاء

وإنني لألمح في أفقها

سحاباً سيمطر فينا الوباء

وإنني لأسمع في رحمها

فحيح الأفاعي ينزّ اشتهاً

وليست سوى الكلمات لـ

مباضع، تجهض، تسقط ذاك الرداء



تذكرت أيامنا المترعات
على ضيقها المستبد عطاء^(١)
فحيناً نعالنه جهرة
وحيناً نمحصه اختباء
ولم نك نرجو على الحاليتين
سوى حلم قد أطل رجاء
تنادت له في الظلام المرير
عزائم لا تبغيه انطفاء
إذا ثلّ في زمن سيف قوم
فأحرى بأقلامهم أن تضاء!



وأذكر كيف يصير النداء
إلى (الفجر) للعبرات نداء
نغذ الخطا في رحاب الرسول
وصوت البخاري^(٢) يبكي انتشاء
ونجتاز درباً يشع سنا
تصادت به الهمهمات دعاء

(١) إشارة إلى جلسات أخوية بين عدد من أدباء الإسلام لوضع اللمسات الأولى لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة الرسول ﷺ في ربيع عام ١٩٨٢ م.

(٢) مؤذن الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة.

تسابق أرواحنا خطونا

فترشف في النسمات الرواء

ونعرف، إذ عجز الحكماء

بأنك تعطي الجراح الشفاء!



أماناً محمد ها أنا ذا

محب أثارت لواعجه البرحاء

حزين أتى من طريق بعيد

غريب يعاني الأذى والجفاء

كئيب ويبغيه منك علاجاً

مريض ويرجوه منك دواء

أماناً فمن زمن اشتهى

صلاة تذيب الفؤاد بكاء

هنا أنا ذا بعد طول انتظار

لأقبس (منك) صباح مساء



الطبيب^(١)

جسدي بالخفقان يذوبُ
 معطوب قلبي معطوبُ
 من فجر العمر وعافيتي
 لم يُجدِ إزاهها التطبيبُ
 مرت في الصبح على عجل
 لم تسمع صوتي فتجيبُ
 أصحو والكرب يحاصرني
 وأنام وروحي مكروبُ
 ويقيم الهم على مكث
 والعسر بعيد وقريبُ
 أتشبث والوجع القاسي
 يسري في الأوصال يلوُبُ
 تسودّ بعيني الدنيا

(١) إلى م. ن الذي عانى طويلاً من أوجاع في قلبه كادت أن تأتي عليه. فلما توجه إلى الله وفوض أمره إليه تغير الحال غير الحال.

وتضيق على اليأس دروبُ
 يحيا المكروب على وجل
 ويعاني فمائم طبيبُ
 وتمرّ الأوجاع به تترى
 ظلمات والليل رهيبُ
 تمضي وصنوف بضاعتها
 سم يخفيه الترغيبُ
 تتناوشها أيدي المرضى
 أتراها تلبي المطلوب؟^(١)



ينسى الإنسان على وهنٍ
 أن طريق الله رحيبُ!
 فيظل يعاني من وصبٍ
 ينفك قليلاً ويؤوبُ
 ويشيل على كتفيه الدنيا
 مأسور فيها مصلوبُ



أذكّر في ساعة روع

(١) إشارة إلى الأدوية التي يلتهمها المرضى أحياناً دون جدوى.

«ادعوني» فإني سأجيبُ!
لحظات والويل تلاشى
وتنأى في الليل خطوبُ
ويجىء اليسر على قدر
فكأنه في لوح مكتوبُ
لن يشفى الطب على مَرَضٍ
لكن الشافي المحبوبُ



والموعد الله...

أرنو إلى الدنيا وأمتنعُ
 لم يبق لآمال متسعُ
 بالأمس أشواقي تدمرني
 واليوم لا شوق ولا طمعُ
 لم أبلغ الخمسين لكن الـ
 حادثات لها منطق يضعُ
 عشرون عاماً أرتجي حلماً
 وعلى مدى الآفاق منتجعُ
 عشرون والدنيا تلاحقني
 فأطير للصبوات أندفعُ
 عشرون لا هم ولا كدر
 وأخالها صفواً فلا فزعُ
 عشرون لكن أنى - أسفاً -
 يحتاط للأخرى فيمتنعُ؟

لكنها الذكرى وحق لها
 أن تلجم اللاهية فيرتدعُ
 فاليوم يأتي من ينبهني
 أن ألتزم حذري فلا أدعُ
 اليوم يقتلعونه كبدًا
 وغداً لعل القلب يقطّعُ



كل التي تبتغون ضائعة
 كل الذي تعطون مرتجعُ
 وعلى مدى الطرقات ضارعة
 حيناً، وحيناً خائف فزعُ

لم يبق في الدنيا مؤملة
 إلا وفي خفقانها الوجعُ
 لم يبق في الدنيا وحق لها
 أن تستزيد بما يردي وما يسعُ
 يأيتها البانون حسبكم
 إن الذي تبنون ينصدعُ!
 إن التي ترجون ذاهبة
 وذاهب ما حباه الكد والجشعُ

وأنّ جوهرها هذا تناقضها
 وأن أضدادها الطغيان والورعُ
 وليس ثمة من غاد ومرتحل
 إلا وفي نزواته الهلعُ
 فما لا وهامنا تمضي مصعدة
 ونحن نجتازها خفضاً ونتضعُ؟



يا أيها الماضي لبغيته
 ركضاً وما يدري متى يقعُ!
 يا أيها المفتون زخرفه
 عبث وخلف بريقه الصرعُ
 يا أيها الساري وما اتسخت
 عباءة قد طواها الموت والنزعُ
 أواه لو تدري مخادعة
 بأن غبار أكاذيب سينقشعُ
 وأن لذاتها شرك لآهتها
 وأن غبّ أمانيتها لمنقطعُ!
 وأن كل أخي دنيا معطرة
 أعطافه، سيعاف الدار ينتزعُ

وَأَنْ مَأْسَاتِنَا أَنَا نَغَادِرُهَا
حَفِيًّا فَلَا نَعْلُ وَلَا شَسْعُ
مَلْمَلَمِينَ بِأَكْفَانٍ مَمْزُوقَةٍ
وَمَوَدَّعِينَ فَلَا أَهْلٌ وَلَا شَيْعُ
وَلَيْسَ ثَمَّةٌ إِلَّا اللَّهُ مَوْعِدُنَا
وَبَاطِلٌ مَا بَنَاهُ الْوَهْمُ وَالْجَزْعُ
وَلَيْسَ ثَمَّةٌ إِلَّا هُوَ وَحَقُّ لَهُ
أَنْ يَسْتَرِدَّ عَطَايَاهُ فَمَا يَدْعُ



مرثية لأخي...

رحلت بلا كلمات الوداع
 فخلفتني في أسى والتياح
 هرعت إليك ودقات قلبي
 تئن فألجمها بامتناعي
 هرعت وقد انتعلت فؤادي
 فطال الطريق وما ثم داعي
 فلما رأيتك بح ندائي
 ودومت في لجة وضياع
 أفي لحظات تغور الحياة
 ولا يبقى في العين أي التماع؟



صحبتك منذ طفولة عمري
 شقيماً، وصنو أذى ونزاع
 تلقيت مني الكثير صغيراً
 وأشربت من لهفتي وانصياعي

ولاحقتني في اصطيد الأمانى
وفي الركض خلف خيال مطاع
مضى الدهر ينسج أعمارنا
ويستل لحمتها بانتزاع
ولم ندر أن الفراق وشيك
وأن المنى عجت بخداع!



تعلمت كيف يصير الكتاب
عشيقاً، وكيف يخط يراعي
وكنّت - ولا زلت بعد صبياً -
تريد اجتياز الدنا باندفاع
وترفع فوق المنابر صوتاً
يجاهد كي يرتجى لسماع
فلما كبرت كتبت كثيراً
ولم تدرّ زيفهم بقناع!
وقلت الذي كنت ترجو
صريحاً، ويحدوك وفق شعاع



رحلنا معاً عبر كل طريق

وكافحنا في سلمها والصراعِ
 رنونا إلى خفقان النجوم
 وخضنا البحار بألف شراعِ
 وحاقت بنا نزوات الضلال
 فكلنا لها الرد صاعاً بصاعِ
 وكان يؤرقنا أن نرى الضا
 ئعين حيارى وبنيانهم لانصداعِ
 لك الله يا أنبل الأصدقاء
 ويا صنو عمري وندّ اضطراعي



تعلمتُ منك الكثير الكثير
 على فارق بيننا وانقطاعِ
 وكنت إذا حزبتني الهموم
 وأظلمت الأرض غاب اقتناعي
 أجيئك حتى تفرج كربى
 وآوى لظلك في كل ساعِ
 عهدت إليك بمفتاح عمري
 فلما فقدتك شل ذراعي
 ويحزنني أن أظل وحيداً

وأن تمضي لا تلتفت لاستماعي



وتطرق بابنا بالضحكاتِ

وتجتاح أحزاننا لا تراعي

وأذكر كيف تؤول الغيوم

على كل إطلالة لانقشاعِ

وكيف أحبك كل الذين

تلقوك محض عطاء مشاعِ

منحت سخاءك للآخرين

وأفرغت في الرحل آخر صاعِ

فلما أتانا النعي تنادت

- على بغتة الموت - كل البقاعِ



تمحضت للطهر مذ كنت طفلاً

وأوغلت في الدرب غير مضاعِ

وأمسكت حبل الإله المتين

وصعدت لا تكثر لمتاعِ

توضأت للموت قبل الأوان

فجاء على خطوات سراعِ

نطقت الشهادة عند المصير
 وكنت البشير فأصبحت ناعي
 مضى قدر الله حم الفراق
 فأرخيت في البحر كل شرع^(١)



(١) ولد أخي نبيل خليل في الموصل عام ١٩٤٨م، وحصل على البكالوريوس في الهندسة الكهربائية عام ١٩٧٠م من جامعة الموصل، والماجستير في علوم الحاسبات عام ١٩٧٦م من جامعة براد فورد في إنكلترا. ألف وترجم عدداً من الكتب في مجال تخصصه، وحصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٨٣م. وكان يملك قدرة أدبية متميزة بسبب كثرة مطالعته، وقد انعكست في لغته الجميلة التي كان يكتب بها ويترجم البحوث والمؤلفات العلمية، فضلاً عن كتابة العديد من القصص القصيرة والمقالات التي نشرت في الصحف والمجلات العربية والإسلامية. توفي بالسكتة القلبية في ٢٢ شباط عام ١٩٩٦م.

المحطات الأخيرة

سئمت ولم يبق عبر طريقي
 سوى أمنيات ذوت في عروقي
 حسبت العطاء لمن يستزيد
 إذا به غصة حلق شروقي
 نعيش بها اللفحات عطاشاً
 ومن حولنا ألف نبع دفوق
 ونهرع ركضاً وراء السراب
 وطعم اللظى جمرة في الحلوق
 وأشكو لمن والمسار طويل
 ولست على ظله بلحوق؟



أصارحكم إثر نصف مزين
 فما بعدها خدعة لبريق
 وأقسم بالله أني أراها
 عدواً تخفى بثوب صديق

إذا ضحكت كشفت عن نيوب
 وقد مزجت سمها برحيق
 وإن أسلست لحظات خطاها
 فما ثم - من بعد - غير العقوق
 تنادي وقد زينت نفسها
 وأخفت تجاعيد وجه عتيق
 وتفتن - إذ طليت - كل غر
 فينسى أخايد تلك الحروق
 ولكنه إذ يجر إليها
 مشوقاً لأحضان صب مشوق
 تعالنه بضياع المصير
 وتسلمه لخضم عميق
 فما هو إلا حصاد الغرور
 يؤول على غفلة لحريق
 ونصحو بعد فوات الأوان
 ولات إذا انصرمت من رفيق
 أصارحكم لا أريد مرأء
 ونحن على عتبات المضيق

تمر السنون فتأكل منا
وتقضم في مغرب وشروق
ويأكل منشار أعمارنا
ويحسبها زفرةً بشهيق
تمر فلا تلتفت لوراء
تلم الكؤوس فلا من غبوق
وما هو إلا انصرام الثواني
ويسمع في الدار صوت النعيق



أصارحكم فالأمانى القصار
كذاب وما حكمها بدقيق
تخايل أن الرداء أصيل
ولكنه مثخن بشقوق!
وأن النسيج، برغم عراه،
يشف عن الزيف جد رقيق
وأن المراكب في البحر تجري
غريق عليها، وغير غريق
تؤمل في كل يوم وصولاً
فتغتاها عقبات الطريق



أصارحكم بعد نصف مضيّن
وقد يلّمح النصّح غير شفيقٍ
ولكنه العذر يوم الحساب
ويوم يفر أخ من شقيقٍ
خبرت الحياة على كل حال
فميزت بين حصا وعقيقٍ
وأبليت ثيابي تصاريّفها
فما سلمت وصلة من خروقٍ
خرجت فما أرجو شروى نقيّر
ولست للذاتها بعشيقٍ
وشتان بين أسير يعاني
وصب يغازلها وطلّيق!



النشيد الإسلامي

١

عقيدتي تقودنا عبر الطريق
 يصونها اليقين
 تكلؤها رعاية الرحمن من مخاطر الطريق
 فتطمئن للوصول في يقين
 وغيرنا تاهوا على الطريق
 إذ آثروا أن يرحلوا بلا يقين
 فاضطربت مسالك المسير . . ضل عنهم الطريق

٢

عقيدتي تخاطب الإنسان
 تمنحه الصراط نحو الله في مفاوز الآماد
 تزيل من طريقه الأوثان

تنقذه من وجع الإذلال والضياع والفساد
تخرجه من زحمة الدنيا، وضيقها، من عبث السلطان
ومن عبادة العباد
تعهه بالخير، والسلام، والأمان

٣

عقيدتي تلاحق الضلال
تطهر الأرض من الفجور والآثام
تريدها دنيا يسودها النقاء والكمال
وتختفي الأوجاع والآلام
تريدها دفقاً من الآمان
تخفق في جناتها الأحلام
ينصب في بستانها الشلال

٤

عقيدتي تجاهد الشقاء
ترد للإنسان ما ضيعه الأرباب
تهبه الأرض ثم تفتح الطريق للسماء

تقوده إلى دنى مشرعة الأبواب
 تمنحه الأفعال . والأشياء . . والأسماء
 فتعمر الدنيا وتزهو في ربوعها الأطياب
 يدرّ ضرع التين والزيتون . . تعطي وعدّها الحناء!



عقيدتي تفجر الإبداع
 تنفخ نار الله في أوردة الحياة
 فيخفق الشراع
 وتنطلق مراكب الوعود في الغداة
 آمنة من لجة الضياع
 محفوظة بكلمة الإله من غوائل الخلجان من مهامه
 الفلاة

تعود كي تمنحنا الثمار والمتاع



عقيدتي تقطر الفيوض في الأرواح
 تمنحها الطيوب

فتنطلق في رحلة المساء والصباح
تجتاز في طريقها الغيوب
ربانها ملاح!
عقيدتي تكسر رين الإلف عن مسارب القلوب
وتمنح المفتاح!

٧

عقيدتي شريعة الحرية
ترفع سيف الحق في منازل الطاغوث
تقاتل الإرهاب والوحشية
تمضي إلى فرعون أو جالوث
وتفتح الطريق للإنسان صوب البهجة الكونية
تزيل في مسارها الأسرار، والأغلال، واللاهوت
تمضي لكي تقيم حكم الله في حياتنا الأرضية



رحلة في المصير

١

يلوح بكل ضمير نقي سؤال
 بأعماق كل الذين طوى عصرنا
 بعالمنا المتعب الراهن
 إلى أين؟ كيف يكون المآل؟
 ولم يبق في يدنا أمرنا
 نجدف في زمن آسن؟
 ولم ندر أن السفينة
 إذا قادها رائد باقتدار
 فعمّا قريب سيطلع ضوء النهار
 وترسو بمرفئها آمنه
 ولكن سفينة عالمنا
 غدت من زمان بعيد رهينه

بأيدي طواغيت عالمناء
فإن لم نفق ونرد القياد
إلى العصابة المؤمنة
فعما قريب ستهوي بنا
بلى . . سوف تهوي بنا
ولم نجن إلا مرير الحصا
ويبقى السؤال
يلوح بكل ضمير نقى
إلى أين؟ كيف يكون المآل؟

٢

وكان الرسول ينادي السماء
وروحه تجتاز أقطارها
وترحل عبر تخوم الفضاء
وتمضي لتقرأ أسرارها
وتبعد . . تبعد حتى تدانى
حدود الخلود وعطر الجنان

ولكنه ظل يرنو بعمقٍ
إلى الأرض... يكسر أسوارها
وعبر رمال الصحارى
تحدى أعاصيرها
وقاد الملايين صوب غد مترع بالأمان
غد يستريح له الكادحون
ويبنون دنياهم بأمانٍ
وما قال يوماً وهم في المسارِ
بأن الحياة قذى وهم خاطئون
فمملكتي في السماء!

٣

يظل بنو آدم: يحلمونُ
إذا ناموا هم يحلمونُ
إذا استيقظوا يحلمونُ
إذا سعدوا أو شقوا يحلمونُ
ولكن صحتهم
تجيء وهم ميتونُ

ويبقى الذين يعيشون يقظتهم
 يظنون أنهم قادرون
 على نيل ما يشتهون
 ولكنهم مخطئون
 لأنهم يحلمون
 لأنهم يحلمون!

٤

ألا بئست أعين لم تعان البكاء
 إذا سهرت في الليالي
 يبللها الدمع يخفق في مقلتيها
 إذا خطرت نجمة أو تجلت ذكاء
 وأفئدة لم تعان القلب خوفاً وحباً
 فليست سوى قبضة من خواء
 وأنى لأفئدة خفقت أن تعود إلى دركات الفناء؟
 فيا أيها العاشقون تعالوا إلى ومضات الجمال
 إلى حيث لا يتغي شاعر أن يؤوب
 فإن لم نذق طعمها ونذوب

هبطنا إلى ظلمات المآلِ
 هنالك حيث كثافة عالمنا واصطراع البقاء..
 فنصبح والحشرات.. سواء..

٥

على طوال مجرى الزمان الطويلِ
 تأرجح تاريخنا كالسفينِ
 فحيناً تضيّعه غضاب الهديرِ
 وتجتاحه ضربات السنينِ
 وحيناً تقوده عبر المسيرِ
 نسائم فجر بليّلِ
 ولكن راياته ما تهاوّت
 ولا تعبت أذرع المبحرينِ
 إرادتهم ما استكانتِ
 وكيف؟ وفي قلب كل مجاهدِ
 نداء يقوده صوب المصيرِ
 يطير به عبر ألف طريق مخيف.. حزينِ
 إلى حيث لا ربح.. لا خوف.. لا زمهريرِ

وتبقى السواعدُ

تجدف عبر الزمان الطويلُ

على طول معجى الزمان الطويلُ

٦

تأمل قائدنا العبقريّ

بغار حراءِ

أتاح لنا في المدى السرمديّ

طريقاً سداه ولحمته من ضياءِ

فيا جيل النور نثّ علينا

من الضوء شلالك الأبدى

فنحن نعاني الأعاصير مهما ركضنا

سواء انفردنا أو أنا سوا

دخان الزمان المعاصرِ

يكنتم أنفاسنا

وريح التكاثرِ

تحفر أرماسنا

تفرق بين أب وبنيه

وأنى التفتنا رأينا الدخانُ
 يباعد بين أخ وأخيه
 وينساب بالشؤم فوق الزمانُ
 ولسنا بهذا الضياع المخيفُ
 سوى نقط الضوء وسط الظلامُ
 تلوح بالأمل المستديم الشفيفُ
 بنور ينث على الأفق يوم يزول الركامُ
 وينفسح الدرب عبر القرونُ
 على هدينا السرمدى
 طريقاً يصوغه للضائعين
 نداء نبيّ!

٧

بقرآنا ارتقينا السماء وصرنا على العهد شعباً فتيا
 يناضل عالمه بتحدٍ
 ويصنع تاريخه العبقريا!
 وكنا نقاتل ضد الخلاص ونمنح للحقد أنفسنا
 عليها ندير الدوائرُ

وعبر نقيع الدماء وحد الخناجرُ
 يغيب في الأفق وهج السنا
 مضى السوس يأكل أخلاقنا
 ويحتلب الدود أحداقنا
 ولم يبق في ظلمات السرائرُ
 سوى عفن سيئ الطعم والرائحة
 ومن حولنا أمم كسرويه
 تحدد . . وتصقل أظفارها الجارحه
 سبت أرضنا
 هتكت عرضنا
 ولم يتصد لدرء الهزيمة
 سوى (عترة)!

ولكن (عترة) شاعر لا يرد هذه الهزيمة
 وتبقى مظالم (كسرى) يظل هوى (قيصرا)
 وفي اللحظات التي سبقت بعثنا
 هرمانا وهبت علينا القوى الجامحة
 ولكن صيحة قائدنا

تعاليم رائدنا
محت عارنا الأبدية
وسرنا وراء معلمنا
نجاهد أعداءنا بتحدٍ
ونصنع تاريخنا العبقرياً!

٨

قديمًا، ومنذ مئات القرونِ
ونحن أسارى
تراوح أفعالنا في المكانِ
ورغم مرور السنينِ
نظل أسارى
وقد حرن الليل، ضاع مسير الزمانِ
قديمًا.. قديمًا.. ونحن نمارس عشق الحجارة!!
تجمد أنظارنا في الترابِ
تلطخ أحلامنا بالقذاره
وفي وسط الدرب تعلو (مناه)
تسد الطريق علينا، وتحصرنا في الصحارى

فلا أمل يرتجى في البعيدِ
 ولا أمنيّاتٍ
 نظل سكارى
 ويفلت منا المصير وراء الحدودِ
 هنالك حيث تضع الرؤى ويحل الضبابُ ..
 ولكنّ صوتاً يجيء ونحن حيارى
 فيوقظنا من عميق السباتِ
 يحركنا عبر ألف جدار تقيمه (عزى) وتحميه (لات)
 فلم يبق، ثمة، بعد النداءِ
 سوى هدف واحد كالقضاءِ:
 نفك أسارانا من أسرهم
 ونصنع عالمنا من جديد!!

يعلّمنا دوران السنينِ
 وركض الضياء وراء الظلالِ
 وعود المسافرين إثر رحيل بعيدِ
 تعلّمنا الأرض تخفق بعد شتاء طويل حزينِ

وتطلق روحها . . تبعث سحر الخيالِ

يعلمنا ذوبان الجليد!!

ودفق الشروق يجيء بأعقاب ليل طويل . .

ويركض . . يركض خلف ظلامه

يصارع رغبته في البقاء

ويسعى إلى كسره وانهزامه

فما ثم إلا الندى والصفاء

تعلمنا ضربات الزمانِ

تجيء فتقصم ظهر الطغاه

وتقلب ظهر المجنّ

لكل الذين أداروا ظهورهم للزمان!

وظنّوا الحياة

جداول تنساب رقراقة بلا كدر أو محنّ

تعلمنا غضبات البحارِ

وصولة أمواجهها

تفاجئ في غفلة من نهارِ

عيوناً تداري بأبراجها!

فلا ترتجي صرخات الفرارِ
وربانها في القرارِ
يعانق في القعر حكم السنين!

١٠

ونعرف منذ قرونُ
بأن صياغة تاريخنا لن تكونُ
بدون صراخ (بلاّ)
وتعذيب (عمار) مقتل (ياسر)
وكسر يدي (مصعب) غرزها في الرمالُ
وصبر على ضربات المقادرُ

١١

لماذا نصوب أنظارنا في الظلام؟
لماذا التخبط في الحفر الضيقة؟
وأشواقنا إذ تشيرُ
تشير إلى ظل كالغمامِ
نسائمها مخنقة؟
لماذا إلى حلم زائف كالسرابِ

يكون المصير؟
 وفي أي درب يكون الذهاب
 وقد ضاع.. قد ضاع منا المصير؟
 حرام علينا - ونحن بنو آدم - أن نكون حجارة
 تساقط في الدرب مصبوغة بالتراب
 حرام عليها تقلبها في القذاره
 فيا سيد العالمين تمرّد
 على شرعة الدود.. هيا تمرّد
 وسارع إلى عالم الضوء حيث انفساح المدى
 فليس لأربابنا الزائفين
 مواعيد.. أو أمل.. أو هدى
 سوى أن نظل نعاني الأنيّن
 وتخفقنا الحفر الضيقه!

١٢

رياح السموم تحاصر عالمنا المرهقا
 وتخفقه صبوات الرمال
 وأنى التفتنا وجدنا الدجى محدقا

يهدده بضياح المآل
و(إنسان) هذا الزمان البئس
يمارس (أشياء) لا مجديه
يساق بأفكار كل (تعيس)
إلى الحفر المرديه!
ويوماً فيوماً يحس مزيداً من الاختناق
مزيداً من الغربة القاسيه
ويدفعه الانغلاق
- وقد حاصرته الزوايا -
إلى الضربة القاضيه!
فيا أيها المؤمنون تخطوا جدار الدخان
وسيروا إلى عالم الفكر الخيّر
هنالك حيث انفساح المكان
تعانقه في النهايه
سموات أنجمنا النيّر!

إذا كان كل قوي يسد الطريق على البائسين

إذا كان قد ند عنا الشراع

وصرنا على البحر كاليائسين

إذا كان كل عتي تطيش به نزوات الضلال

يكلمنا بالحرب

إذا كان يمطرنا بالنبال

ويسفو على ناظرينا التراب

فلا كان.. لا كان تاريخنا

ولا كان (عمرو) و (سعد) و (خالد)

ولا التمتع في الصحارى المنى

وغطى على الأفق دفق الروافد

وكيف يكون لنا موطئ في البرية

إذا لم يجئ (طارق) و (ابن قاسم)؟

ومن حولنا أمم بربريه

تداعى لها كل نذل وفاجر

مبادئها تستبيح المظالم

تعاليمها كسرويه

إذا وطئت مدناً كالمقابر
تذكرت الوقعة (الناصرية)^(١)
فداست على الحرمات، تخطت حدود الضمائر
فيا أيها المسلمون تنادوا إلى صيحة أخرويه
تقاتل تحت دوي القنابل، قصف الحديد
وترمي إلى السوح كل مجاهد
تناديه (حطين) و (القادسية)
وتدفعه صرخات (الوليد)^(٢)

١٤

إذا كان في العزم درء الهزائم
ودفع المزيد من الضربات الموحق
إذا كنا نرجو انبعاث المقاتل
وقدرته في تخطي نداء الغنائم
تعشقه لغد أبدي الشمائل
فلا بد من أن نصوم الشهور الطوائ

(١) إشارة إلى معركة حطين عام ٥٨٣هـ التي قادها الناصر صلاح الدين، وأفضت إلى تحرير القدس.

(٢) إشارة إلى الخليفة الأموي الفاتح الوليد بن عبد الملك.

ونعرف كيف يكون التجرد، كيف تحل المصائب
ونسكب أدمعنا في لظى وابتهاج
تعيد النقاء إلى ضربات القلوب الخوافق!
ولا بد من رحلة في جحيم الرمال
وسير على الشوك، مقدرة في تخطي المصاعب
ولا بد من درء كل انفعال
صعوداً على عتبات المشائق!

١٥

أحبائي ..

والدرب بعد طويل
تند معانيه عن كلماتي ..
أسرح عيني في بحرها
وتركض في إثرها أمنياتي
فيرتد طرفي حسيراً كليل
وكيف - وقد نفدت أحرفي - أن أجد سحرها؟
فحسبي - إذاً - رحلة مسرعة
تخطيت فيها حدود المصير

ورغم ملامحه الموجهه
 فلا بد من جولة في المصير
 وقد علمتنا معاني الحياة، وإلهامها المبدعُ
 بأن الصباح يجيء وراء الليالي
 إذا ازداد غيبتها بالبحار المفجعُ!
 وإن عصفت بالبحار الرياحُ
 رمت زبدًا ولآلي!
 فيا أيها المبحرون إلى عالم ما به من جراح
 تخطوا حدود المواجه، سيروا على ومضات المآلِ
 فهذا أوان الكفاح!



الرباعيات

١

تطير الحياة إلى ألف شوق
ونمضي إليها بألف جناح
تصعد عبر المدى ثم تهوي
فنحيا على غدوها والرواح
يلاحقها الليل في كل حين
ولكنها وعدت بصباح
فحتى مَن نسكبها عبرات
وكيف نمحضها للنواح؟

٢

ويمنحنا الله نعماءه
طريقاً إلى الخير عدلاً سوياً
يريد لنا أن نصير كباراً
وآلاً نرى في التكاثر شياً

ويفتح باب المغاليق حتى
نغادرها بكرة وعشياً
فنجتازها للسماء صعوداً
ونسعى إلى المكرمات رقباً

٣

هي الأرض قد تستحيل اعتقلاً
تضيق بنا فنود هروباً
ونمضي إلى كل هم قريب
ونعبرها في مداه دروباً
سموم الأعاصير تجتاحنا
وتسفو من المهلكات ضروباً
ولكننا لو عرفنا الطريق
لما ضُيقت بكرةً وغروباً

٤

يحفزنا الله في كل آن
بأن نعبر الكون طولاً وعرضاً
ويأبى لنا أن نظل أسارى
فلا نتمحّض للخير محضاً

يناديننا أن نرتقيها سماء
ويمنحنا النور ينساب فيضا
ولكننا نتأبى عليه
ونبغيها جحراً وضيقاً وخفضاً

٥

حسيس الوجود يقول لنا
تعالوا إلى عالم الخفقانِ
يغازلنا النبض في كل شيء
ويحكي هواه بألف لسانِ
دماء الشقائق تنزف عشقاً
ويزهو البنفسج بالأرجوانِ
ويبقى نداء الغروب وتبقى
تباريحه في حوافي الزمانِ!

٦

على كل درب يطل الفناء
ويأتي على الرطب واليابسِ
وفي لحظة تستحيل حطاماً
حدائق من سندس مائسِ

وتصبح ذكرى أحاديث قوم
وتوضع بين يدي دارس
وليست سوى كلمات الإله
تكفكف من وضعنا البائس

٧

لماذا إذا روع الأمنون
ومزقت الريح كل شرع
وأطبقت السحب رعداً وبرقاً
وغطت على حشرات الوداع
أوى العائدون إلى ربهم
وراحوا ينادونه بالتياع!
لماذا إذا أمن الخائفون
نسوه كأن لم يناده داع؟

٨

وفي كل يوم يكون الرحيل
على مركب في خضم البحار
كأن الذهاب إلى كل صقع
مصير الملايين غب انتظار

نلف بها في دروب المواني
ونرجع ثانية للديار
وما ثم إلا دوار الليالي
يجيء لكي نرتحل في النهار

٩

وبعد موات الشتاء وبعد
معاناتنا في الليالي الطويلة
وبعد اكتساح الجليد الروابي
ومصرع كل الزهور الجميلة
وبعد اغتيال التدفق في الـ
عيون، وبعد انتحار الخميـلة
يجيء الربيع فما ثم خوف
على البعث من نسمات عليـلة

١٠

هو الحب في عصب الكائنات
فليس له أبداً من زوال
يعرش عند حنايا القلوب
ويشعل أضواءه في الليالي

يطل على الكون من ألف درب
ويمضي يغازل كل خيال
يسافر والفجر في بدئه
ويرجع قد زينته الالهي!

١١

يريد لنا الله جل علاه
وفاقاً مع الكون حباً وشوقاً
فنحن وإياه صنع المليك
ونحن وإياه في الوجد غرقى
تسبح ذراته في الليالي
ونسجد في الفجر، سيان، عشقاً
وفي كل يوم يجيء النداء:
تباركت في أعطياتك خلقاً!

١٢

وقد يغلب الحق في جولة
وأخرى.. وينتفش الباطلُ
يخيّل للبعض أن الحياة
سيغتالها مجرم قاتل!

وأن جمال الوجود سجين
وأن الهدى ظلمه زائلُ
ولكنها محنة ويقام
على الدرب بنيانه المائلُ!

١٣

إلى أين؟ سدت دروب الخلاص
وضاعت مع الظلمات دروبُ
وغطى الضباب على كل أفق
وخيم في المشرقين غروبُ
وقام الطواغيت يبغونها
ضياءاً.. وذكلاً.. وليس حسيبُ
وننسى نداء الأمان الذليل
وندعو الإله فهل يستجيبُ؟

١٤

وحتى قيام النفير الأخير
سنمضي لتزيين هذي الحياة
ونجتاز كل صحارى الوجود
سراعاً فنغمرها بالمياه

نفجر في كل دار رواء
ونرفع في كل حي صلاة
وتبقى الفسائل مخضرة
ويبقى التطلع نحو الإله!

١٥

هو الوجد قد أشعلت ناره
فأزهر في الخافقين الضياء
يشب بأرواحنا تارة
فتمضي لكي ترتقيها سماء
تعانق عبر الرحيل الطويل
عوالم قد محضته صفاء
ويجتاز حيناً حنايا القلوب
يلوّعها فتزيد عطاء!

١٦

كفاح الرسائل عبر الزمان
يباركه هدف واحد!
ومنذ عصور الصراع البعيد
وإصرارها في المدى خالد

هو الله وليخساً المشركون
 ويهوي الطواغيت والعبادُ
 ويبقى نداء الرسالات يبقى
 على الدهر، دربهم صاعدُ

١٧

بإغرائها قد تشد الحياة
 قناعاً على وجهها لا يبينُ
 ويخدع في حسنّها كل غر
 ويركض في إثرها فيهونُ
 ولولا نداء النبيين أضحت
 خراباً كأن لم تكن ويكونوا
 رياح الأضاليل تسفو دماراً
 وتأتي تعاليمهم فتصونُ

١٨

وإبليس يجتاز ألف طريق
 إلينا، ويلبس كل قناع
 يجيء معالنة تارة
 وينساب حيناً بغير شرع

يسايرنا باصطناع الوداد
 ويبكي لمأساتنا بالتباع
 فيسقط في شركه الضائعون
 ونمضي فليس الهدى لضياع

١٩

لهم زخرف القول في كل حين
 فليس لهم عنده جوهراً
 ويمسكون قد زينت دارهم
 وغطى على زيفها العنبر
 ولكنها تحتويه خراباً
 فتزهو وبستانها أصفر
 فما هو إلا مرور الزمان
 وتأتي على أسها الأعصر!

٢٠

وجوهر هذي الحياة رحيل
 فتمضي وفي كل يوم رحيل
 نؤمل في الفجر وصلاً جميلاً
 ولكنه في المساء يحول

ونرجوه رغم تحدي الفناء
طويلاً ولكنه لا يطولُ
فماذا لو أنا عرفنا المصير
وجئناه والركب بعد ذلولُ؟

٢١

تعاليت يارب حم الفراق
وبابك يبقى ولا كل بابٍ
وأوصد غيرك أبوابهم
وسدوا مسالكنا لإيابٍ
ويبقى طريق الرجوع إليك
عريضاً يخفف أي مصابٍ!
تعاليت جل السخاء الكبير
وهان برحماك كل عذابٍ

٢٢

تغلغل في الروح سر الوجود
فصار له الخفقان شراعاً
وأومى فما ثم ليل بهيم
ومر فما عرفته التياعاً!

وصعد فوق مسار النجوم
فقلت له الظلمات: وداعا
تغلغل والضوء ملك اليمين
وراح ينث ندى وشعاعا

٢٣

لك الحمد يا مبدع الكائنات
ويا باعثاً في الوجود الجمالا
لك الحمد في كل فجر ندى
وعند توالي الليالي امتثالا
لك الحمد ما طلعت نجمة
وما صيرته الشهور هلالا
لك الحمد في كل رفة طير
وفي الضوء إذ يستحيل ظلالا!

٢٤

ويبلغ من عفوه أن تصير
ذنوب بني آدم لذهاب
إذا مثقل بالديون ينادي
مسحت مع الدّين كل حساب

وسعت برحمة رب غفور
خطايا الألى مرغوا برغاب
فيا رب جل السخاء الكبير
وجلّت تصاريف يوم الإياب!

٢٥

بلوت الحياة على كل حال
فلم أر غير الدعاء سبيلاً
إذا ضيّقت في المسار الدروب
دعوت الإله فأضحت ذلولا
وتجتاحنا في الطريق الهموم
تروّعنا بكرة وأصيلا
فأنت الذي يرتجى في الكروب
وأنت المفرج همّاً ثقيلا

٢٦

تعاني من الغم أيامنا
وتمضي فما عرفتة سرورا
وليس له أبداً من دوام
فإن مع العسر يسراً كثيراً

تقلّب هذا الوجود عجيب
 فأياك أن تمتطيه غرورا
 إذا اجتاز بالمرء وعر الطريق
 فقد ينقلب ويسوء مصيرا!

٢٧

حدود المسافات تحجب عنا
 حقائق هذا الوجود العجيب
 تضيعها في البعيد سراهاً
 وتصبغها بطلاء مريب
 فنمضي نحث خطانا حيارى
 ونجتازها في اعوجاج الدروب
 يريد لنا الله آفاقها
 فيأسرنا كل هم قريب!

٢٨

تأمل ففي ساح هذي الحياة
 تقيم الأزاهير أعراسها
 ويحتفل الفل والياسمين
 وترفع نرجسه كاسها!

تأملُ ففي فرح الكائنات
تباريح تكتُم أنفاسَها

٢٩

ونمضي، فما ثم بعد الرحيلِ
رجوع وليس لمرتحل من شفيع
ونبحر لا نلتفت لوراء
فقد شدت الريح كل القلوع
وتطوي المسافات أحلامنا
فنغضي على جمرات الضلوع
وليس لنا في المسار الطويل
سوى الله من يُرتجى لرجوع

٣٠

نمر سراعاً على كل شيء
كأننا إلى نصب نوفضُ!
يلف التكاثر أعناقنا
ونبقى نلاحق لانغمضُ
وتخدعنا مغريات الحياة
فنمضي على إثرها نركضُ

نضيع سر الوجود ونحشو
عليه التراب فلا يومضُ

٣١

أذوب بحبك يا خالقي
فيندي بقلبي الهوى ويرفُ!
ينازعني الوجد رغم العناء
وينساب في أضلعي فتشفُ
وأبكي فيغسل فيض الدموع
خطاياي، يلهمني فأعفُ
أذوب وإذا أستحيل حطاماً
أناشد أوجاعه فتكفُ!

٣٢

ويعتقل الحرف حيناً، وحيناً
تصاغ بآياته الكلماتُ
يسطّحه العرف تغتاله
معان سفاستها ظلماتُ
يراد له أن يصير هجيناً
وأن تتخطى به الحرماتُ

ولكنه إذ يفى إليها
يشع وتغسله الكلمات

٣٣

ومن ألف ركن ترامي النداء
فأزهر في كل شبر سلاما
تخطى حدود الزمان العتيق
وجاوزها في مداه ظلاما
تخطى وراياته في الأعالي
وجاهدتها عقبات جساما
وراح، وقد أمن الخائفون
لكي يمنح الجائعين طعاما!

٣٤

تهب على العاشقين تباعاً
نسائم قد ضمخت بأريج
فتغسل رين القلوب وتمضي
على فرس ذهبي السروج
تهب مصعدة في السماء
فتفتح أبوابها للعروج!

وتنسج من ومضات الفؤاد
فبورك من مغزل ونسيج!

٣٥

يرف على الأفق بعد الغروب
وميض يسافر كل مساء
وينقل من خفقان النجوم
رسائل مكتوبة بضياء
تحدثنا عن صروف المقام
در في الكون، عن ذكريات السماء
وتحكي لنا كيف مر النبي
وكيف التواجد عند اللقاء!

٣٦

وتبقى الأحب إلينا نبياً
على كل صقع وفي كل آن
أحب من الابن والأبوين
من الزوج، من مغريات الزمان
أحب من القلب بين الضلوع
من النفس، من همسات الأماني

مكانك في حدقات العيون
وحبك يجري مع الخفقان!

٣٧

وماذا نقول وقد جعلتنا
تعاليمه للوجود منارا؟
وماذا نقول وكنا صغاراً
فصيّرنا - بعد لأي - كباراً؟
وكنا نعيشها صبوات
ونجتازها في الضياع سكارى
فماذا نقول عليك السلام
فديت رسولاً وبوركت جارا؟

٣٨

وعبر سني الضياع المرير
وفي زمن الحزن والشهداء
وفي لجة الليل والخوف يترى
وفي لحظات الأذى والعناء
تطل فكلّ عذاب يهون
وترضى فيعذب كل بلاء!

فرحماك يا سيد المرسلين
وبوركك يا خاتم الأنبياء

٣٩

نظل على العهد جيلاً فجيلاً
ويدفعنا إلى الموثق
يريدونها عبثاً وضياعاً
ونسعى إلى أفقها المورق
نظل نلاحقها ظلمات
لنمضي إلى غدها المشرق
ونبقى على الدرب ما دمت فينا
نبياً يجاهد كي نرتقي!

٤٠

وأدعوك في رحلة الكلمات
إذا أخطأ الحرف ضل السبيل
ثوابك يطمع أحلامنا
فترجو، إذا قصرت، أن تطولا
وما كل حي يشد الركاب
ويبغي على العثرات وصولاً

ولكنها جمرات الفؤاد
تلوّعه فيودّ قبولا!!



فهرس الموضوعات

٥ تقديم
١١ ابتهاالات في زمن الغربة
١٦ النار
٢١ مشاهد من سفر الرؤيا
٣١ إذا غاب هديك
٣٥ مناجاة
٣٩ الضوء في الظلمة إلى حماس ..
٤٣ بطاقة في عيد ميلاد
٤٧ شيء عن الصراع
٥١ بطاقة في ذكرى المولد
٥٣ فتلك مصارعهم
٥٧ المدينة والحلم
٦١ الطبيب
٦٤ والموعد الله ...
٦٨ مرثية لأخي ...
٧٣ المحطات الأخيرة
٧٧ النشيد الإسلامي
٨١ رحلة في المصير
٩٩ الرباعيات
١٢٠ فهرس الموضوعات

تصوير

أحمد ياسين



نُطوِير
أحمد ياسين
نُوِينِر

@Ahmedyassin90

أبيها الأبي

في زمن العربة



لصوير
إحمد ياسين

الكتاب والبريد

دار النشر